صفوة التفاسير

تفسير للقرآن الكريم، جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير
«الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط» وغيرها
بأسلوب ميسّر، وتنظيم حديث، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية

المجلّد الثالث

تأليف
محمّد علي الصّابوني
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يأتينا[1] ﴿ولا بقول كاهن﴾ أي وليس هو بقول كاهنٍ يدعي معرفة الغيب ، لأن القرآن يغاير بأسلوبه سجع الكهان ﴿قليلاً ما تذكَّرون﴾ أي قلَّما تتذكرون وتتعظون ﴿تنزيل من ربِّ العالمين﴾ أي هو تنزيلٌ من ربِّ العزة جل وعلا كقوله تعالى ﴿وإنه لتنزيل ربِّ العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسانٍ عربي مبين﴾ والغرض من الآية تبرئة الرسول ﷺ مما نسبه إليه المشركون من دعوى السحر والكهانة ، ثم أكَّد ذلك بأعظم برهان على أن القرآن من عند الله فقال ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل﴾ أي لو اختلق محمد بعض الأقوال ، ونسب إلينا ما لم نقله ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا[2] ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أي ثم لقطعنا نياط قلبه حتى يموت قال القرطبي : والوتينُ عرق يتعلق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه[3] والغرض أنه تعالى يعاجله بالعقوبة ولا يمهله ، لو نسب إلى الله شيئاً ولو قليلاً ، فإن تسمية الأقوال بالأقاويل للتصغير والتحقير ﴿فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾ أي فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه ، لو أردنا حينئذٍ عقوبته ،ولا أن يدفع عنه عذابنا قال الخازن : المعنى إن محمداً لا يتكلم الكذب علينا لأجلكم ، مع علمه أنه لو تكلم لعاقبناه ، ولا يقدر أحدٌ على دفع عقوبتنا عنه[4] ﴿وإنَّه لتذكرةٌ للمتقين﴾ أي وإن هذا القرآن لعظةٌ للمؤمنين المتقين الذين يخشون الله ، وخصَّ المتقين بالذكر لأنهم المنتفعون به ﴿وإنَّا لنعلم أنَّ منكم مكذبين﴾ أي ونحن نعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن مع وضوح آياته ، ويزعم أنه أساطير الأولين ، وفي الآية وعيدٌ لمن كذب بالقرآن[5] ﴿وإنَّه لحسرة على الكافرين﴾ أي وإنه لحسرة عليهم في الآخرة ، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب من آمن به ﴿وإنَّه لحقُّ اليقين﴾ أي وإنه لحقٌّ يقينيٌّ لا يحوم حوله ريب ، ولا يشك عاقل أنه كلام رب العالمين ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي فنزِّه ربك العظيم عن السوء والنقائص ، واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة ، التي من أعظمها نعمة القرآن .

البَلاَغَة : تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من الفصاحة والبيان نوجزها فيما يلي :

١ ـ الإطناب بتكرار الاسم للتهويل والتعظيم ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ الخ .

---

(١) التفسير الكبير ١١٧/٣٠ . (٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد . (٣) تفسير القرطبي ٢٧٦/١٨ . (٤) تفسير الخازن ١٤٨/٤ .

(٥) الظاهر أن الضمير يعود الى القرآن وقال الطبري وإن التكذيب لحسرة وندامة على الكافرين ، وهو قول مقاتل .